

لا يحب ان يسمع شيئاً بهذا الشأن . فلا نطلق العنان . في هذا الميدان
أكثر من هذه الاشارة الخفية . الى ان تأتى الساعة التى نتكلم بها
عنه بكل حرية .

وهناك غيره من المسراة الامائل الاسخياء . يأتى ذكرهم عند
سنوح الفرصة لان الامور مرهونة باوقاتها . واما الادباء من الكتاب .
فعدددهم وفضلهم ظاهر من مقالاتهم التى تشهد بطول باعهم . وحسن
يراعهم . وتغلغلهم فى العلم والادب . وسائر فنون العرب . وكفانا
قريباً ايهم الوقوف على ما تحفوناه من النبذ والمقالات . وعلى ما تحفوناه
هم وغيرهم من هذا القليل فلهم منا الشكر الجزيل .

(فضل اهل العراق)

(على سائر اقوام الافاق)

❖ فى جمع شتات لغة العرب ❖

كان سكان جزيرة العرب يتكلمون لغات عديدة ولغات شتى حتى
جاء الاسلام فوحدها وميز لغة قريش مضر الحمراء عن سائر اخواتها
لفصاحتها وكثرة اوضاعها ومعظم اتساعها . وما كادت تنفج بين لدائها
حتى زادت مباني ومعاني فاصبحت بحرأ زاخراً بعد ان كانت نهراً دافقاً
بيد انها بقيت قرنين لا ينمو قرن غزالها انشازقة بعد ان ذر ذروراً بيناً .
حتى خالط العرب المعجم فمضى هؤلاء الاغراب غاية العناية بتدوين

اللغة واصولها وقواعد ضبط شواردها واوابدها . ووضعوا مبادئ
اخذها وتلقاها والجري على اساليب العرب باحكام ضوابطها الجزئية
وروابطها الكلية . فنشأت حينئذ علوم اللغة العربية على ضروب
تنوعها في الكيفية والكمية .

على ان الفضل كل الفضل في ذلك عائد الى اهل العراق باتفاق
اهل الآفاق . لان جميع العلماء الذين نبغوا في صدر الاسلام كانوا
من العراقيين او ممن خالطوهم او ممن اخذوا عنهم .

وهل انت تجهل سبب تمحيص اللغة العربية الشريفة وترقيها
وتدوينها وتحقيق اصولها واتباع الصراط الاقوم من طرقها المتعددة
المختلفة ؟ اليس في المصيرين الكوفة والبصرة من ديار العراق نشأت
طائفتا العلماء الذين تتخبر بهم اليوم اللغة القرشية ؟ . طائفتان تشبهان
مايسميه اليوم ادباء عصرنا من الافرنج بالاكاديمية . اى المجمع اللغوى .
اجل . انك ترى في هذا العهد مجماً لغوياً في كل امة من امم الغرب
التي يمتاز اهلها عن جيرانهم بلفهم الخاصة بهم . والغاية منه الدأب
في تحسين لغة المحابه ولذا ترى اعضاء هذه الاكاديمية (التي لا يتعدى عددها
الواحد في كل امة) يسهرون على حفظ سلامة اللغة من كل خلل
اوفساد . ويقتبسون من عوامهم بعض الالفاظ المأنوسة التي لا مقابل
او مرادف لها في لغتهم الفصيحة والتي لا مندوحة لهم عنها للتعبير عن
افكارهم . ويدخلون الالفاظ الحديثة المعنى او الطريقة الوضع
والاكتساب لقرب العهد باستبطان مدلولاتها او باكتشاف وجودها .

والخلاصة ان هذه الاكاذمية (اى المتحدى لغوى) تسعى كل السعى لان تجعل لغة قومها حية ابنة اليوم. والعصر تقتذى باطعمة جديدة لتعوض بها عما فنى ويضى منها لقيامها بوظائف الحياة. وتقذف من احشائها ما لم يعد صالحاً لبقائه فى المذاخر (وهى من الاعضاء الداخلية ما يندخر فيها الطعام كالاجواف والامعاء والمروق واسافل البطن) على غير جدوى .

على ان الاكاذمية اذا كانت واحدة قدتهفو ان لم يعارضها معارض او يناوئها منلوى . اما اذا فاظرها متحدى آخر لغوى كفوء لها وناقشها فى المسائل وجاذبها اطراف ما يقع فيه الخلاف او يمكن ان يقع فيه نظر متقد جهبذ خلصت اللغة من كل شائبة مشوب . وتخلصت قاذبة من قوب . ولم تبق حاجة فى نفس يعقوب .

فهذا الذى يتناه كل طافل لبيب محب لغته ومفرم بمحاسنها وقع فى لغة العرب عندما اميطت عنها قط الطفولة وشبت عن الطوق فازيححت عنها التمام والبست القلائد والحواتم . فبرزت من حجلتها شابة بارعة الجمال رائمة الكمال كاملة السن كافلة لنفسها البقاء مهما صادفها وصادمها من الاحداث والطوارئ القومية والاجتماعية والعمرائية . وقد زودت من الوسائط ما تدفع عنها كل غائلة او كل ما يشين عرضها ويدنس نسبها او يحسبها .

وخلاصة القول عن مذهب البصريين والكوفيين : ان البصريين اصح قياساً لحفظ لغة قريش . لانهم لا يلتفتون الى كل مسموع ولا

يقيسون على الشاذ والكوفيون اوسع رواية . لانهم جمعوا شتات لغات جميع قبائل العرب وحفظوها . قال ابن جني : الكوفيون علامون باشعار العرب مطلعون عليها . (نقله صاحب الاقتراح ص ١٠٠) ولهذا تنبع آراء الكوفيين واستقراؤها بطلعك على لغات قدماء العرب . وهو امر جليل الشأن . واما تأثر آراء البصريين فلا يوقفك الا على لغة قريش الفصحى . وقال الاندلسي في شرح المفصل : الكوفيون لوسموا بيتاً واحداً فيه جواز شيء يخالف للاصول (المتعارفة في لغة مضر) جملوه اصلاً وبوبوا عليه . بخلاف البصريين . قال : وما افتخر به البصريون على الكوفيين ان قالوا : نحن نأخذ اللغة من حرشة الضباب واكله اليرابيع . واتم تأخذونها عن اكلة الحلوى وباعة الكواميخ . (عن كتاب الاقتراح للسيوطي ص ١٠٠)

على ان هناك من سبق البصريين والكوفيين معاً . وكان قبل ظهور الاسلام بمائتي وخمسين سنة وهو من اهل العراق ايضاً . وبه يتضاعف فضل العراقيين على من سواهم ويتناول طولهم على من نازعهم شرف حفظ اللغة العربية وادابها واشعارها واريد به النعمان ابن المنذر المتصر فقد قال عنه حماد الرواية مافيه : (امر النعمان ابن المنذر ففسخت له اشعار العرب في الطبوج (وهي الكرايس) ثم دقها في قصره الابيض . فلما كان المختار بن ابي عبيد الثقفي (وهو ابواسحاق المختار بن ابي عبيد بن مسعود الثقفي الذي طوى بساط ايامه في القرن الاول من الهجرة في عهد الامويين) قيل له ان تحت القصر كنزاً فاحتفروه . فاخرج تلك الاشعار . فن ثم اهل الكوفة اعلم بالشمر من

أهل البصرة . (اه كلامه نقلاً عن المزمع ١ : ١٢١)
 وكان أهل العراق خصوا من بين اقوام الآفاق بترقية شأن اللغة
 العربية كلما سبحت الحاجة إليه . لانه ما عدا ما أتى به النعمان بن المنذر
 المتصر من المآثر الجليلة لحفظ اشعار العرب . وما خلا ما قام فيهم
 من علماء المصريين (البصرة والكوفة) من جمع شتات لغات القبائل
 وتدوين منظومها . فقد جاء بعد ذلك عهد العباسيين فدفعوا اللغة في
 ميدان السباق حتى استنزفوا حضرها (بضم الحاء) وبلغوا بها الى شأو
 الحصر (بفتح الحاء وهو التضييق والحبس) لانهم بلغوا بها الى ابد
 غاية يكن الوصول اليها في عهدهم .

اما في عهدنا هذا فاذ كان العراقيون لم يشبهوا السلف بمجلائل
 ما آثرهم فليس الذنب ذنبهم . وانما الجريرة جريرة المريبى (بكسر الباء
 المشددة) وسالة المريبى (بفتح الباء الحفيفة) ليس الا . ومع ذلك فانتا
 نسقبشر بسنة التأمل في وطنيتنا العراقيين اذا اعانتهم الحكومة . اذ من
 شأنها ان تساعد حملة الاقلام ورافى اعلام العلم بين الانام . وما ذلك
 بعزير على ربك العليم العلام .

(مما جاء في مدح العلم)

قال عبدالله بن مسعود : ان الرجل لا يولد عالماً . وانما العلم بالتعلم .
 واخذه الشاعر فقال :

تعلم فليس المرء يولد عالماً . وليس اخو علم كمن هو جاهل
 وقال آخر بالمعنى المذكور :

تعلم فليس المرء يخلق عالماً . وما عالم امراً كمن هو جاهل

وقال غيره :

ولم ار فرعاً طال الا باصله . ولم ار بدء العلم الا تعلما

وقال رابع :

العلم يحسي قلوب المتيسين كما . تحيا البلاد اذا مامسها المطر
والعلم يجلو المي عن قلب صاحبه . كما يجلي سواد الظلمة القمر



الحمد لله الذي فطر الأنام ، وخصهم بمواهب العقل والنطق
والافهام ، وميزهم بها عن سائر الحيوان ، ليكون ذلك اس التقدم
والمدينة والعمران ، على ممر الدهور وتوالي الازمان في كل اين وآن .
اما بعد فقد قام في هذا العهد فريق من افاضل المستشرقين
يشيرون على الادباء من اهل الفضل والعلم في الديار العربية اوفى البلاد
التي يتكلم سكانها باللغة القرشية ان يبذلوا جهد المستطاع في تقييد اوابد
لغياتهم واحياء دوارس معالم لهجاتهم وجمع كل ما يتداوله عوامهم
ايدون في بطون الكتب ومعاجم اللغة وذلك لعدة فوائد منها :

اولاً : لان في بعض معاجم اللغة الفاظاً نظمتها مائة وهي حية فمعرف
معناها الحقيقي .

ثانياً : لان اللغويين قد جمعوا الفاظ جميع القبائل بدون ان يصرحوا